بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، فإنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا النبي ﷺ عبده ورسوله.

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد النبي المعصوم ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 102] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : 1] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : 70 – 71] .

ثم أما بعد :

الإِمَام ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَيَاتُهُ وَآثَارُهُ

جمعها و رتَّبها الدكتورعصمت الله عنايت الله

قال :هذه ترجمة موجزة لابن أبي الدنيا كما ذكرها الذهبي ، نقلت ذلك بتصرف- إضافة عناوين و حذف مع تقديم و تأخير- يسير من سير أعلام النبلاء.

اسمه ونسبه :

ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، هو : عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ بنِ قَيْسٍ القُرَشِيُّ مَوْلاَهُمُ، مَولَى بَنِي أُمَيَّةَ؛ البَغْدَادِيُّ، المُؤَدِّبُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ السَّائِرَةِ .

مولده ونشأته :

وُلِدَ بمدينة بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري سَنَةَ ثَمَانٍ وَمائَتَيْنِ.

ويعد القرن الثالث الهجري عصر النهضة الفكرية ففي تلك الحقبة نشطت حركة التراجم والإبداع الأدبي .

وكان هذا عامل رئيسي في بلورة فكر ابن ابي الدنيا وتهذيبه .

شيوخه :

وَأَقدم شَيْخ لَهُ: سَعِيْد بن سُلَيْمَانَ سعدويه الوَاسِطِيّ.

وَسَمِعَ مِنْ: عَلِيِّ بنِ الجعد، وَخَالِد بن خِداش، وَعَبْد الله بن خَيْرَان، صَاحِب المَسْعُوْدِيّ، وَطَبَقَتِهم.

وَقَدْ جمع شَيْخنَا أَبُو الحجَّاج الحَافِظ أَسْمَاء شُيُوْخه عَلَى المعجم، وَهُم خلق كَثِيْر، فمنهُم:

1. أَحْمَد بن إِبْرَاهِيْمَ الدَّوْرَقِيّ،
2. وَأَحْمَد بن جَنَاب،
3. وَأَحْمَد بن حَاتِمٍ الطَّوِيْل،
4. وَأَحْمَد بن عَبْدَة الضَّبِّيّ،
5. وَأَحْمَد بن عِمْرَانَ الأَخنسِي،
6. وَأَحْمَد بن عِيْسَى المِصْرِيّ،
7. وَأَحْمَد بن مُحَمَّدِ بنِ أَيُّوْب،
8. وَأَحْمَد بن مُحَمَّدٍ البِرتِي،
9. وَأَحْمَد بن مَنِيْعٍ،
10. وَأَحْمَد بن زِيَادٍ سبلان،
11. وَإِبْرَاهِيْم بن سَعِيْدٍ الجَوْهَرِيّ،
12. وَإِبْرَاهِيْم بن عَبْد الله الهَرَوِيّ،
13. وَإِبْرَاهِيْم بن مُحَمَّدِ بنِ عَرْعَرَة،

14. وَإِبْرَاهِيْم بن أُوْرمَة - وَهُوَ أَصغر مِنْهُ-
15. وَإِسْحَاق بن أَبِي إِسْرَائِيْلَ،
16. وَإِسْمَاعِيْل بن إِبْرَاهِيْمَ التَرْجُمَانِي،
17. وَإِسْمَاعِيْل القَاضِي - وَتَأَخر بَعْدَهُ—
18. وَإِسْمَاعِيْل بن عَبْدِ الله بنِ زُرَارَةَ الرَّقِّيّ،
19. وَإِسْمَاعِيْل بن عُبَيْدٍ بن أَبِي كَرِيْمَة،
20. وَإِسْمَاعِيْل بن عِيْسَى العَطَّار،
21. وَبسَام بن يَزِيْدَ النَّقال ،
22. وَبَشَّار بن مُوْسَى،
23. وَبِشْر بن الوَلِيْدِ الكِنْدِيّ،
24. وَحَاجِب بن الوَلِيْدِ،
25. وَالحَارِث بن سُرَيْج النَّقال ،
26. وَالحَارِث بن أَبِي أُسَامَةَ — رَفِيْقه-
27. وَالحَكَم بن مُوْسَى،
28. وَخَالِد بن خِدَاشٍ،
29. وَخَلَف بن سَالِمٍ الْمُخَرِّمِيّ،
30. وَخَلَف بن هِشَامٍ البَزَّار،

31. وَدَاوُد بن رُشَيْدٍ،
32. وَدَاوُد بن عَمْرٍو الضَّبِّيّ،
33. وَالرَّبِيْع بن ثَعْلَب،
34. وَزُهَيْر بن حَرْب،
35. وَسُرَيْج بن يُوْنُسَ،
36. وَسَعِيْد بن زُنْبُور الهَمْدَانِيّ،
37. وَسَعِيْد بن سُلَيْمَانَ الْمُخَرِّمِيّ الأَحْوَل،
38. وَسَعِيْد بن سُلَيْمَانَ سَعْدَويه،
39. وَسَعِيْد بن مُحَمَّدٍ الجَرْمِيّ،
40. وَسُلَيْمَان بن أَيُّوْبَ – صَاحِب البَصْرِيّ–
41. وَسُوَيْد بن سَعِيْدٍ،
42. وَعَبْد اللهِ بن خَيْرَان،
43. وَعَبْد اللهِ بن عَوْنٍ الخَرَّاز،
44. وَعَبْد اللهِ بن مُعَاوِيَة الجُمَحِيّ،
45. وَعَبْد الأَعْلَى بن حَمَّادٍ،
46. وَعَبْد الصَّمَدِ بن يَزِيْدَ مَرْدَوَيْه،
47. وَعَبْد العَزِيْزِ بن بَحْر،

48. وَعَبْد المتعَالِي بن طَالب،
49. وَأَبو نَصْر بن عَبْدِ العَزِيْزِ التَّمَّار،
50. وَعُبَيْد الله القَوَارِيْرِيّ،
51. وَعُبَيْد الله العَيْشِيّ،
52. وَعَلِيّ بن الجعد،
53. وَعَمَّار بن نَصْرٍ،
54. وَأَبُو عُبَيْد القَاسِمُ بنُ سَلاَّم - وَهُوَ مِنْ قُدمَاء شُيُوْخه-
55. وَكَامِل بن طَلْحَة،
56. وَمُحَمَّد بن إِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي سَمِينَة،
57. وَمُحَمَّد بن بَكَّارٍ بن الرَّيَّان،
58. وَمُحَمَّد بن جَعْفَرٍ المَدَائِنِيّ، عَنْ حَمْزَة الزَّيَّات فِي (اصطنَاع المَعْرُوف)،
59. وَمُحَمَّد بن زِيَادِ بنِ الأَعْرَابِيّ،
60. وَمُحَمَّد بن سَعِيْدٍ الكَاتِب،
61. وَمُحَمَّد بن سَلاَّمٍ الجُمَحِيّ،
62. وَمُحَمَّد بن الصَّبَّاحِ الدُّوْلاَبِيّ،
63. وَمُحَمَّد بن الصَّبَّاح الجَرْجَرَائِيّ،

64. وَمُحَمَّد بن عَاصِم – صَاحِب الخَان – حَدَّثَهُ عَنْ حَرِيز بن عُثْمَانَ، وَعَنْ كَثِيْر بن سُلَيْم،

65. وَمُحَمَّد بن عَبَّاد المَكِّيّ،

66. وَمُحَمَّد بن عَبْدِ الوَاهِب الحَارِثِيّ،

67. وَمُحَمَّد بن عُبَيْدٍ وَالده،

68. وَمُحَمَّد بن عِمْرَانَ بنِ أَبِي لَيْلَى الأَنْصَارِيّ،

69. وَمُحَمَّد بن يُوْنُسَ الكُدَيْمِيّ،

70. وَمَحْمُوْد بن الحَسَنِ الوَرَّاق – مِنْ نظمه –

71. وَمَحْمُوْد بن مُحَمَّدِ بنِ مَحْمُوْد بن عَدِيّ بنِ ثَابِت بن قَيْس بن الخطيم الظَّفَرِيّ،

72. وَمَنْصُوْر بن أَبِي مُزَاحم،

73. وَمَهْدِيّ بن حَفْص،

74. وَمُوْسَى بن مُحَمَّدِ بنِ حَيَّانَ البَصْرِيّ،

75. وَالنَّضْر بن طَاهِرٍ البَصْرِيّ،

76. وَنُعَيْم بن الهيصم،

77. وَهَارُوْن بن مَعْرُوف،

78. وَالهَيْثَم بن خَارِجَةَ،

79. وَ يحيى بن أَيُّوْبَ العَابِد،
80. وَ يحيى بن درست القُرَشِيّ،
81. وَ يحيى بن عَبْد الحَمِيْد الحِمَّانِيّ،
82. وَ يحيى بن عبدويه – صَاحِب شُعبَة–
83. وَ يحيى بن يُوْسُفَ الزَّمِّي،
84. وَأَبُو بلاَل الأَشْعَرِيّ مِرْدَاس،
85. وَأَبُو عُبَيْدَة بن فُضَيْل بن عِيَاض.

ويَرْوِي عَنْ خلق كَثِيْر لاَ يُعرفون، وَعَنْ طَائِفَةٍ مِنَ المُتَأَخِّرين ؛ مثل :

86. يحيى بن أَبِي طَالِبٍ،
87. وَأَبِي قِلاَبَة الرَّقَاشِيّ،
88. وَأَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ،
89. وَمُحَمَّد بن إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيّ،
90. وَعَبَّاس الدُّوْرِيّ؛

و سبب كتابته عن المتأخرين أَنَّهُ كَانَ قَلِيْل الرِّحلَة، فيتعذر عَلَيْهِ رِوَايَة الشَّيْء، فيكتبه نَازلاً وَكَيْفَ اتَّفَق.

تلامذته و مَن روى عنه :

حَدَّثَ عَنْهُ:

1. الحَارِث بن أَبِي أُسَامَة، أَحَد شُيُوْخِه،
2. وَابْن أَبِي حَاتِمٍ،
3. وَأَحْمَد بن مُحَمَّدٍ اللُّنبَانِي،
4. وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ سَلْمَان النَّجَّاد،
5. وَالحُسَيْن بن صَفْوَانَ البَرْذَعِيّ،
6. وَأَحْمَد بن خُزَيْمَةَ،
7. وَأَبُو جَعْفَرٍ عَبْد الله بن بُرِيَة الهَاشِمِيّ،
8. وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْد الله الشَّافِعِيّ،
9. وَعِيْسَى بن مُحَمَّدٍ الطُّومَارِي،
10. وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَد بن مُحَمَّدٍ الصَّحَّاف،
11. وَأَبُو العَبَّاسِ بن عُقدَة،
12. وَأَبُو سَهْل بن زِيَادٍ،
13. وَأَحْمَد بن مَرْوَانَ الدِّيْنَوَرِيّ،
14. وَعُثْمَان بن مُحَمَّدٍ الذّهبِي
15. وَعَلِيّ بن الفَرَجِ بن أَبِي رَوْح،
16. وَإِبْرَاهِيْم بن مُوْسَى بن جَمِيْل الأَنْدَلُسِيّ،

17. وَإِبْرَاهِيْم بن عُثْمَانَ الخَشَّاب، بصرِي،
18. وَإِبْرَاهِيْم بن عَبْدِ الله بنِ الجُنَيْد - وَمَاتَ قَبْلَهُ-
19. وَأَبُو الحُسَيْن أَحْمَد بن مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرٍ الجَوْزِيّ،
20. وَابْن أَبِي حَاتِمٍ،
21. وَعَبْد الرَّحْمَن بن حَمْدَانَ الجَلاَّب،
22. وَمُحَمَّد بن عَبْدِ الله بنِ أَحْمَد الأَصْبَهَانِيّ الصَّفَّار،
23. وَأَبُو بشير الدُّوْلاَبِيّ،
24. وَأَبُو جَعْفَرٍ بن البَخْتَرِيّ،
25. وَمُحَمَّد بن أَحْمَدَ بنِ خنب البُخَارِيّ،
26. وَابْن المَرْزبَان،
27. وَمُحَمَّد بن خَلَف، وَكِيْع،
28. وَآخَرُوْنَ.
29. وَقَدْ رَوَى عَنْهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي (تَفْسِيْره).

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

أثنى عليه كثير من العلماء:

قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: كَتَبْتُ عَنْهُ مَعَ أَبِي، وَقال أَبِي: هُوَ صَدُوْقٌ.

وَقال الخَطِيْبُ: كَانَ يُؤدِّب غَيْر وَاحِدٍ مِنْ أَولاَد الخُلَفَاء.

وَقال غَيْرُهُ: كَانَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا إِذَا جَالس أَحداً، إِن شَاءَ أَضحكه، وَإِن شَاءَ أَبكَاهُ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لتَوَسُّعِهِ فِي العِلْمِ وَالأَخْبَار.

قال أَحْمَد بن كَامِلٍ: كَانَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مُؤَدِّب الْمُعْتَضِد.

قال أَبُو بَكْرٍ بن شَاذَان البَزَّاز: حَدَّثَنَا أَبُو ذر القَاسِم بن دَاوُد، حَدَّثَنِي ابْن أَبِي الدُّنْيَا، قال: دَخَلَ المكتفِي عَلَى الْمُوَفَّق وَلَوْحُه بِيَدِه، فقال: مَالِك لَوْحُك بيدك؟

قال: مَاتَ غُلاَمِي وَاسْتَرَاح مِنَ الكُتَّاب.

قال: لَيْسَ هذا مِنْ كَلاَمك، كَانَ الرَّشِيْد أَمر أَنْ تُعْرَض عَلَيْهِ أَلواح أَولاَدِه، فَعُرِضت عَلَيْهِ ؛ فقال لابْنِهِ : مَا لغُلاَمك لَيْسَ لَوْحك مَعَهُ؟

قال: مَاتَ وَاسْتَرَاح مِنَ الكُتَّاب.

قال : وَكَأَنَّ المَوْت أَسهل عَلَيْك مِنَ الكتاب؟

قال : نَعَمْ.

قال : فدع الكُتَّاب، قال: ثُمَّ جئته.

فقال : كَيْفَ محبتك لِمُؤَدِّبك؟

قُلْتُ: كَيْفَ لاَ أَحبّه، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فتق لسَانِي بِذِكْرِ الله، وَهُوَ مَعَ ذَاكَ إِذَا شِئْت أَضحكك، وَإِذَا شِئْت أَبكَاك.

قال : يَا رَاشِد! أَحضر هَذَا.

فَأَحضرنِي، فَابْتدأَت فِي أَخْبَار الخُلَفَاء وَموَاعِظهُم، فَبَكَى بكَاء شَدِيْداً.

قال: فجاءني راغب - أو يائس - ، فقال لي : كم تبكي الأمير ؟ .

فقال : قطع الله يدك ماله وله يا راشد تَنَحَّ عنه .

قال: وابتدأْت، فذكرت نَوَادِر الأَعرَاب، فَضَحِكَ ضحكاً كَثِيْراً، ثُمَّ قال لِي: شَهْرتَنِي شَهْرتَنِي.

قال أبو ذر : فقال لأحمد بن محمد بن الفرات : أجر له خمسة عشر دينارا في كل شهر .

قال أبو ذر : فكنت أقبضها لابن أبي الدنيا إلى أ ن مات .

وقال ابن النديم : كان يؤدب المكتفي بالله ، وكان ورعا زاهدا عالما بالأخبار والروايات .

وقال الحافظ ابن كثير : الحافظ المصنف في كل فن المشهور بالتصانيف الكثيرة ، النافعة الشائعة الزائعة في الرقاق وغيرها ، وكان صدوقا حافظا ذا مروءة .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : كان صدوقا أديبا إخباريا ، كثير العلم - حديثه في غاية العلو ، لابن البخاري ، بينه وبينه أربعة أنفس .

وقال جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي : كان مؤدبا لجماعة من أولاد الخلفاء ، منهم ألمعهم المعتضد ، وابنه المكتفي ، وكان عالما زاهدا ، ورعا عابدا ، وله التصانيف الحسان والناس بعده عيال عليه في الفنون التي جمعها ، وروي عنه خلق كثير ، واتفقوا على ثقته وصدقه وأمانته .

وقال الزركلي : كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام ، وما يلائم طبائع الناس .

وقال عنه صاحب المنتظم : كان ابن أبي الدنيا يقصد حديث الزهد والرقائق ، وكان لأجلها يكتب عن البرجلاني ويترك عفان بن مسلم .

مؤلفاته و آثاره العلمية

كان لنشأة ابن أبي الدنيا بهذه الكيفية الأثر العظيم في تنوع كتاباته ، فعدد مؤلفاته يربوا أو ينيف على الثمانين ومائة كتاب ورسالة ؛ قال الذهبي عن مؤلفاته: تَصَانِيْفه كَثِيْرَةٌ جِدّاً، فِيْهَا مُخَبّآت وَعجَائِب. و إليكم تَرْتِيْب مصنفَاته عَلَى المعجم:

1. الأَحزَان
2. أَخْبَار الأَعرَاب
3. أَخْبَار الثَّوْرِيّ
4. أَخْبَار المُلُوك

5. أَخْبَار أُوَيْس
6. أَخْبَار ضَيْغَم
7. أَخْبَار قُرَيْش
8. أَخْبَار مُعَاوِيَة
9. الإِخلاص
10. الأَخلاق
11. الإِخوَان
12. الأَدب
13. الأَشرَاف
14. اصطنَاع المَعْرُوف
15. إِصْلاَح المَال
16. الأَضحيَة
17. إِعَطَاء السَّائِل
18. أَعقَاب السُّرُور وَالأَحزَان وَالبكَاء
19. أَعلاَم النُّبُوَّة
20. الأَلحَان
21. الأَلويَة

22. الأَمْر بِالْمَعْرُوف
23. إِنزَال الحَاجَة بِاللهِ
24. انقلاب الزَّمَان
25. الأَنوَاء
26. أَهوَال القِيَامَة
27. الأَوْلِيَاء
28. تَارِيْخ الخُلَفَاء
29. التَّارِيْخ
30. التَّشمس
31. التَّقْوَى
32. التَّوبَة
33. التَّوَكُّل على الله
34. التعَازي
35. تعبِير الرُّؤيَا
36. تغيُّر الإخوَان
37. تغيير الزَّمَان
38. التفكر وَالاعتبَار

39. التهجد

40. الجفَاة عِنْد المَوْت

41. الجِهَاد

42. الجوع

43. الجيرَان

44. الحذر وَالشَّفقَة

45. حروف خلف

46. حسن الظَّنّ

47. الحلم

48. حلم الأَحْنَف

49. حلم الحكمَاء

50. الخَائفين

51. الخبز الخَاتم

52. الخُلَفَاء

53. الخمُوْل

54. الدُّعَاء

55. الدّين وَالوَفَاء

56. دلاَئِل النُّبُوَّة

57. الذّكر

58. ذم البُخْل

59. ذم البغي

60. ذم الحسد

61. ذم الدُّنْيَا

62. ذم الرِّبَا

63. ذم الرِّيَاء

64. ذم الشهوات

65. ذم الضحك

66. ذم الغيبَة

67. ذم الفَقْر

68. ذم المسكر

69. الرُّخْصَة فِي السَّمَاع

70. الرِّضَا

71. الرِّقَّة والبُكاء

72. الرَّمْي

90. الطَّبَقَات

91. الطَّواعِين

92. عَاشُورَاء

93. العبَّاد

94. العزَاء

95. العُزلَة و الانفراد

96. عَطَاء السَّائِل

97. العفو

98. العقل

99. العقوبَات

100. عقوبَة الأَنْبِيَاء

101. العِلْم

102. العمر وَالشَّبَاب

103. العوائِد

104. العوذ

105. العيَال

106. العيدين

107. الفتُوْنَ

108. الفتوَى

109. الفرج بَعْد الشِدَّة

110. فضَائِل القُرْآن

111. فضَائِل عليّ

112. فضل العَبَّاس

113. فضل العشر

114. فضل رَمَضَان

115. فضل لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله

116. الفَوَائِد

117. القُبُوْر

118. قِرَى الضَّيف

119. قِصَرُ الأَملِ

120. القصّاص

121. قَضَاء الحوائِج

122. القنَاعَة

123. كَرَامَاتَ الأَوْلِيَاء

124. كلام الأَيَّام وَاللَّيَالِي لابن آدم

125. المتمنين

126. مجَابِي الدَّعوَة

127. المَجُوْس

128. محَاسبَة النفس

129. المحتضرين

130. مُدَارَة الناس

131. المرض وَالكفَّارَات

132. المُروءة

133. المَطَر

134. معَارض الكلامَ

135. المعيشة

136. المَغَازِي

137. مَقْتَل ابْن الزُّبَيْرِ

138. مَقْتَل ابْن جُبَيْر

139. مَقْتَل الحُسَيْن

140. مَقْتَل الزُّبَيْر

158. الوصَايَا

159. الوقف وَالابْتِدَاء

160. اليَقين

ما اقتناه الذهبي من مؤلفات ابن أبي الدنيا

قال الذهبي في السير: وَقَعَ لِي مِنْ تَصَانِيْف ابْن أَبِي الدُّنْيَا:

1. القنَاعَة
2. قصر الأَمل
3. مُجَابِي الدعوَة
4. التَّوَكُّل
5. الْوَجَلُ والتَّوَثُّقُ بالْعَمَلِ
6. ذم الملاَهِي
7. الصَّمت
8. الفرج بَعْد الشِدَّة
9. قِرَى الضَّيف
10. مَنْ عَاشَ بَعْدَ المَوْت
11. المحتضرين
12. المدَارَاة .

13. محَاسبَة النفس

14. ذم المسكر

15. اليَقين

16. التَّوبَة

17. الشكر

18. المَوْت

19. القُبُوْر

20. العزلَة

وَأَشيَاء

وفاته :

قال القاضي أبو الحسن : وبكرت إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي يوم مات ابن أبي الدنيا ، فقلت له : أعز الله القاضي مات ابن أبي الدنيا ، فقال: رحم الله أبا بكر مات معه علم كثير ، يا غلام امض إلى يوسف حتى يصلي عليه ، فحضر يوسف ابن يعقوب فصلى عليه في الشونيزية ، ودفن فيها سنة ثمانين .

قال الخطيب : هذا وهم . كانت وفاة ابن أبي الدنيا في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، كذلك أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، عن أحمد بن

كامل القاضي ، قال: سنة إحدى وثمانين ومائتين فيها مات أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي مؤدب المعتضد .

وقال الذهبي : مات في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ومائتين.

مصادر ترجمته :

سير أعلام النبلاء (13/ 397 – 404) الترجمة (192) ، تاريخ بغداد (10 / 89 – 91) رقم الترجمة (5209)، تذكرة الحفاظ (2 / 677 – 679) رقم الترجمة (699) ، الجرح والتعديل (5 / 163) رقم الترجمة (751) ، طبقات الحنابلة (1 / 192 – 195) ، المنتظم (5 / 148 – 149) ، العبر(2/ 65)، فوات الوفيات (2/ 228) ، النجوم الزاهرة (3 / 86) ، البداية والنهاية (11 / 71) ، تهذيب التهذيب (6 / 12) ، طبقات الحفاظ (294)، تهذيب الكمال (16/ 72) رقم الترجمة (3542) .

انتهى ما كتبه الدكتور عصمت الله عنايت الله ، مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد Drismat313@yahoo.com

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

إن مما تثبت به صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه ما يأتي:

* نقل الكتاب عن مؤلفه بسند صحيح متصل مسلسل بالعلماء الأثبات.

* ذكره الحافظ الذهبي رحمه الله ضمن ترجمة المؤلف من " سير أعلام النبلاء " (ج13/ 401، 404).

* وقد اعتنى أهل العلم بسماع هذا الكتاب وإسماعه، ومن ذلك :

أ – وفي الوفيات للسلامي (2/ 92) رقم (557) ذكره ضمن مسموعات الشيخ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن يوسف بن أبي عبد الله بن يوسف بن سعد بن الحسن النابلسي ثم الدمشقي فقال : سمع من ابن الفراء الوجل لابن أبي الدنيا .

ب – ذكره التقي الفاسي ضمن مسموعات أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الرسام عن شيوخه (ذيل التقييد 1) .

ج – عدّه الحافظ ابن حجر ضمن مسموعاته عن شيوخه فقال : كتاب " الوجل " لابن أبي الدنيا أخبرني به أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي بقراءتي عليه للكتاب المذكور سوى من الأول الأمثال التي ذكر ابن أبي الدنيا أنه وجدها عن بعض المتقدمين فساقها بغير إسناد إلى آخر كتابه فلم أقرأها بسماعه لجميع الكتاب على المشايخ الثلاثة .. إلخ ...] المعجم المفهرس (ص 98) رقم (307)] .

وصف الكتاب ومنهجه :

اشتمل هذا الكتاب على سبعة نصوص فقط ؛ منها ستة نصوص مسندة، ونص معلق بلا سند، وهذه النصوص ليس فيها مرفوع ، بل كلها ـ عدا المعلق ـ موقوفات :

الأول منها عن مسلم بن يسار البصري .

والثاني والثالث عن الحسن البصري.

والرابع عن مطرف بن عبد الله بن الشخير .

والخامس عن سفيان بن عيينة عن رجل [وهو زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش ، كما سيأتي بيانه] .

والسادس عن وهب بن منبه الصنعاني حكاية عن لقمان الحكيم عليه السلام .

أما النص السابع فهو عبارة عن مجموعة من القصص عن الأمم السابقة ، أوردها المؤلف بلا سند ونسبها إلى أنطونس السائح، قال المؤلف رحمه الله : « ثم إنَّا وجدنا فيما وضع الأولون من حِكَمهم، وضربوا من أمثالهم، كتابًا فيه حكم وأمثال، تحذو ذا اللب على رفض العاجلة، وتحثه على الأخذ بالوثيقة في العمل للآجلة ؛ وهو الكتاب الذي يُنسب إلى أنطونس

السائح ، فقالوا فيها يذكرون .... » .. فذكر قصة لهذا الرجل ، ثم ساق على لسانه تسع قصص أخرى وهي :

قِصَّةُ صَاحِبِ الْحَيَّةِ .

قِصَّةُ صَاحِبِ الْكَرْمِ .

قِصَّةُ صَاحِبِ السَّفِينَةِ .

قِصَّةُ صَاحِبِ الْحُوتِ .

قِصَّةُ هَلاكِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ .

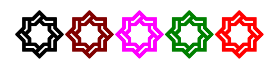
قِصَّةُ صَاحِبِ الدَّيْرِ .

قِصَّةُ الأَعْمَى فِي مُصِيبَتِهِ .

قِصَّةُ صَاحِبِ الْمَسِيلِ .

قِصَّةُ أَصْحَابِ أَفْرُولِيَّةَ .

* هذا ولم يقسم المؤلف الكتاب إلى أبواب، ولم يضع له تراجم؛ لأن الأمر أيسر من ذلك، ومادة الكتاب لا تحتمل هذا.





والتَّوَثُّقُ بالْعَمَلِ

لأبي بكر : عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي ، المعروف بابن أبي الدنيا (208- 281هـ) .

حققه وعلَّق عليه

مجدي محمد الشهاوي

أبو عبد الرحمن المصري

[بين الخوف والرجاء]

[1] ــ حدثنا أبو الحارث سريج بن يونس [1] ، حدثنا محمد بن حميد [2] ، عن سفيان الثوري [3] قال : قال مسلم بن يسار [4] : مَن رجا شيئا

---

[1] سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث ، ثقة عابد ، أخرج له الشيخان والنسائي ، مات 235 هـ . تهذيب الكمال (10/ 221) ، تهذيب التهذيب (3/ 397) ، تقريب التهذيب (1/ 229) ، الجرح والتعديل (4/ 305) ، الكاشف (1810) ، تاريخ بغداد (9/ 219) .

[2] محمد بن حميد اليشكري ، أبو سفيان المعمري البصري (نزيل بغداد ، و قيل له المعمري لأنه رحل إلى معمر) كان مذكورا بالصلاح والعبادة ، من صغار أتباع التابعين توفى سنة 182 هـ ، روى له البخاري تعليقا ومسلم ، قال ابن حجر : ثقة ، قال أبو حاتم : صالح الحديث ، و قال ابن معين : هو أحب إليَّ من عبد الرزاق . انظر : تهذيب الكمال (25/ 109) ، تهذيب التهذيب (9/ 115) ، تقريب (1/ 475) ، الجرح والتعديل (7/ 231) ، لسان الميزان (7/ 356) ، ضعفاء العقيلي (1611) .

[3] سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، ثقة حافظ ، فقيه عابد حُجة ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 161 هـ . تهذيب الكمال (11/ 154) ، تهذيب التهذيب (4/ 99) ، تقريب (1/ 244)، التاريخ الكبير (4/ 92) ، طبقات ابن سعد (6/ 371) ، لسان الميزان (7/ 233) ، حلية الأولياء (6/ 356) ، تاريخ بغداد (9/ 151) ، تذكرة الحفاظ (1/ 203) .

[4] مسلم بن يسار البصري ، أبو عبد الله الفقيه ، نزيل مكة ، يقال له : مسلم سكرة ، ومسلم المصبح ، مولى بني أمية ، كان من الفقهاء العاملين الأولياء ، ثقة عابد ، من الرابعة ، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه ، مات سنة 100 هـ ، وقيل غير هذا . تهذيب الكمال (27/ 551) ،
=

طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه ، ما أدري ما حسب رجاء امرئ عرض له بلاء لم يصبر عليه لما يرجو ، ولا أدري ما حسب خوف امرئ عرضت له شهوة لم يدعها لما يخشى [5] .

تهذيب التهذيب (10/ 127) ، تقريب (1/ 531) ، الجرح والتعديل (8/ 198) ، لسان الميزان 07/ 386) ، طبقات ابن سعد (7/ 186) ، الكاشف (2/ 261) ، الثقات (5/ 390) .

(5) أخرجه المصنف في كتاب حُسن الظن بالله تعالى (رقم 92) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (2/ 292) كلاهما عن سريج بن يونس حدثنا محمد بن حميد عن سفيان عن صاحب له قال : قال مسلم بن يسار.. فذكره .

* وعن أبي إياس معاوية بن قرة قال : دخلت على مسلم بن يسار ، فوجدته قد وقعت ثنيتاه لأنه كان يطيل السجود والركوع ليلا ونهارا ، فوجدته يدفنهما ، فأخذت أعزيه وأهوّن عليه ، فقال مسلم : دخلت عليّ وأنا أدفن بعض جسدي ، فقلت له : لا أدري الذي أنت فيه ، وما عندي من كثير عمل ؛ إلا أني أرجو الله وأخاف منه . قال : فرفع رأسه إليّ كالمذعور فقال لي : كيف قلت ؟ : قلت : ما عندي من كبير عمل إلا أني أرجو الله عز وجل وأخاف منه . فقال : ما شاء الله ! ، من خاف من شيء حذر منه ، ومن رجا شيئا طلبه ، وما أدري ما حسب خوف عبد عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف أو ابتلى ببلاء فلم يصبر عليه لما يرجو .

قال معاوية : فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا أعلم ، فنبهني وكان خيرا مني [انظر : الزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص 249-250) ، الزهد لابن المبارك (305) ، تاريخ دمشق (58/ 140-141)] .

[لا يكون حُسن الظن إلا مع حُسن العمل]

[2] ـ حدثنا عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم [(6)] ، عن هاشم بن القاسم [(7)] ، عن أبي محمد الكوفي [(8)] قال : قال الحسن [(9)] : إن قوما

---

(6) أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي ، أبو عبد الله الدورقي النكري البغدادي ، مولى عبد القيس ، ثقة حافظ ، له تصانيف ، من العاشرة ، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي ، توفي سنة 246 هـ .[انظر : تاريخ بغداد (4/ 6) ، تهذيب الكمال (1/ 249) ، تهذيب التهذيب (1/ 9) ، التقريب (1/ 77) ، تذكرة الحفاظ (2/ 505) ، الثقات (8/ 21)] .

(7) هاشم بن القاسم بن مسلم الليثى مولاهم البغدادي ، و يقال التميمي ، الخراساني ، أبو النضر ، و لقبه قيصر (مشهور بكنيته) ، من التاسعة ، أخرج له البخاري ومسلم ، وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال ابن حجر : ثقة ثبت ، وقال الذهبي : حافظ ، ثقة صاحب سُنة ، تفتخر به بغداد .. توفي ببغداد سنة 207 هـ . انظر : تهذيب الكمال (30/ 130) ، تهذيب التهذيب (11/ 18) ، التقريب (1/ 570) ، الكامل (7/ 114) ، تذكرة الحفاظ (1/ 359) ، الجرح والتعديل (9/ 105) ، الثقات (9/ 243) ، طبقات ابن سعد (7/ 335) ، تاريخ بغداد (14/ 63) .

(8) عبد الرحمن بن صالح الأزدي العتكي ، أبو محمد الكوفي ، صدوق من العاشرة ، وثقه ابن معين ، وضعفه غيره للتشيع ، توفي سنة 235هـ . انظر : تهذيب الكمال (17/ 177) ، تهذيب التهذيب (6/ 178) ، التقريب (1/ 484) ، الجرح والتعديل (5/ 246) ، الكامل (4/ 320) ، لسان الميزان (7/ 281) ، طبقات ابن سعد (7/ 360) ، تاريخ بغداد (10/ 261) ، الثقات (8/ 380) .

(9) الحسن بن أبي الحسن ، البصري ، ثقة فقيه مشهور ، كان يرسل كثيرا ويدلس ، رأس الطبقة الثالثة ، حديثه في الكتب الستة ، مات 110هـ ، انظر : الحلية (2/ 131) ، تذكرة الحفاظ =

ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة ، يقول : إني لحسن الظن بربي ، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل [10] .

(1/ 71) ، تهذيب الكمال (6/ 95) ، تهذيب التهذيب (2/ 231) ، تقريب (1/ 160) ، مشاهير علماء الأنصار (1/ 88) ، طبقات ابن سعد (7/ 165) ، الكاشف (1/ 322) ، الجرح والتعديل (3/ 40) ، شذرات الذهب (1/ 136) ، التاريخ الكبير (2/ 289) ، الأعلام (2/ 226) .

[10] الأثر في تفسير القرطبي (15/ 353) وتمامه عنده : وتلا الحسن قول الله تعالى:

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : 23] .

* وفي تفسير أبي السعود (2/ 235) ، وتفسير روح المعاني للألوسي (5/ 152) قالا: أخرج ابن أبى شيبة عن الحسن موقوفا : ليس الإيمان بالتمني ؛ ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل ؛ إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نُحسن الظن بالله تعالى ؛ وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

قلت : ولم أجده في نسخة مصنف ابن أبي شيبة التي بين يديّ !! ؛ إنما في مصنف ابن أبي شيبة (7/ 187) رقم (35191) عن معاوية بن هشام قال : حدثنا سفيان عن يونس عن الحسن قال : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل .

* وفي حلية الأولياء (2/ 144) ، وفي كتاب صفة المنافق لجعفر بن محمد الفريابي (رقم96) من طُرُقٍ عن الحسن قال في هذه الآية : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة : 19-20] . قال : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل .

* وفي الزهد لأحمد بن حنبل (ص 285) عن محمد بن عبد الله حدثنا سفيان عن رجل عن الحسن قال : إن المؤمن أحسن الظن فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل ، وقال : ما بسط الله الدنيا لأحد إلا اغتر ، ولا زُوِيَت عنه إلا نظر .

=

[الخوف والأمن]

[3] ــ حدثنا عبد الله قال : وحدثني أحمد بن إبراهيم [11]، عن علي بن شقيق [12]، عن ابن المبارك [13]، عن سعيد بن زيد [14] قال : سأل المغيرة

---

* وأخرج ابن جرير الطبري (24/ 110) ، وابن كثير (4/ 98) ، وعبد الرزاق (3/ 158) رقم (20115) في تفاسيرهم عن الحسن قال : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل .. ، ثم قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : 22-23] .

(11) سبقت ترجمته .

(12) علي بن الحسن بن شقيق ، أبو عبد الرحمن المروزي ، ثقة حافظ ، من كبار العاشرة ، مات سنة 215هـ ، وقيل : 212هـ ، انظر : تهذيب الكمال (20/ 371) ، تهذيب التهذيب (7/ 263) ، التقريب (1/ 399) ، الكاشف (2/ 37) ، شذرات الذهب (2/ 35) ، العبر (1/ 368) ، التاريخ الكبير (6/ 268) ، طبقات ابن سعد (7/ 376) ، الجرح والتعديل (6/ 180) ، تذكرة الحفاظ (01/ 370) ، تاريخ بغداد (11/ 370) .

(13) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم ، أبو عبد الرحمن المروزى ، أحد الأئمة الأعلام و حفاظ الإسلام ، شيخ الإسلام ، ثقة ثبت فقيه ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 181هـ ، انظر ترجمته في : تاريخ بغداد (10/ 152) ، تذكرة الحفاظ (1/ 274) ، الحلية (8/ 162) ، العبر (1/ 280) ، تهذيب الكمال =

بن مخادش [15] الحسن [16] فقال : يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يحدثونا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال : أيها الشيخ ، إنك والله إن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف [17] .

(5/16) ، تهذيب التهذيب (5/ 334) ، تقريب (1/ 320) ، مشاهير علماء الأنصار (1/ 194) ، طبقات ابن سعد (7/ 372) ، التاريخ الكبير (5/ 212).

[14] سعيد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى ، أبو الحسن ، البصري ، مولى آل جرير بن حازم (أخو حماد بن زيد) ، من كبار أتباع التابعين ، روى له البخاري تعليقا ، ومسلم وأبو داود والترمذي ، قال ابن حجر : صدوق له أوهام ، وقال الذهبـي : قال جماعة : ليس بالقوى ، و وثقه ابن معين ، توفي سنة 167هـ ، انظر : انظر : التاريخ الكبير (3/ 472) ، الكاشف (1/ 436) ، لسان الميزان (7/ 229) ، تهذيب الكمال (10/ 441) ، تهذيب التهذيب (4/ 29) ، تقريب (1/ 236) ، طبقات ابن سعد (7/ 287) .

[15] مغيرة بن مخادش البصري ، روى عن ابن عمر ، ثقة . [الجرح والتعديل (8/ 228) ، التاريخ الكبير (7/ 318) ، الثقات (5/ 408)] .

[16] الحسن البصري ، تقدمت ترجمته .

[17] أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (2/ 150) ، وابن المبارك في الزهد (303) ، والمزي في تهذيب الكمال (6/ 95) .

[اجتهدوا في العمل]

[4] ــ حدثنا عبد الله قال : وحدثني أبو عبد الله محمد بـن عبـد الله المديني الزاهد [18] ، عن عثمان بن مطر [19] ، عن ثابت [20] ، عن مطرف [21] أنه كان يقول : يا إخوتاه اجتهدوا في العمل ، فإن يكـن الأمـر كـما ترجـون مـن

---

[18] محمد بن عبد الله المديني ؛ لم أجد له ترجمة .

[19] عثمان بن مطر الشيباني ، أبو الفضل البصري ، ضعيف ، من الثامنة ، أخرج له ابن ماجه ، انظر : المجروحين (2/ 99) ، الميزان (3/ 53) ، لسان الميزان (7/ 303) ، تهذيب الكمال (19/ 494) ، تهذيب التهذيب (7/ 140) ، التقريب (1/ 386) ، الضعفاء للعقيلي (1219) ، التاريخ الكبير (6/ 253) ، الكامل (5/ 163) ، تاريخ بغداد (11/ 277) ، الجرح والتعديل (6/ 169) .

[20] ثابت بن أسلم البناني ، أبو محمد البصري ، إمام عابد ، متفق على توثيقه ، عابد ، من الرابعة ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 127 هـ ، انظر : الحلية (2/ 318) ، العبر (1/ 156) ، تهذيب الكمال (4/ 342) ، تهذيب التهذيب (2/ 3) ، تقريب (1/ 132) ، تذكرة الحفاظ (1/ 125) ، شذرات الذهب (1/ 149) ، التاريخ الكبير (2/ 159) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 89) ، الكامل (2/ 100) ، طبقات ابن سعد (7/ 232) ، الثقات (4/ 89) .

[21] مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أبو عبد الله البصري ، ثقة عابد ، فاضل ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 95هـ ، انظر : تهذيب الكمال (28/ 67) ، تهذيب التهذيب (10/ 157) ، والتقريب (1/ 534) ، الحلية (2/ 198) ، تذكرة الحفاظ (1/ 60) ، العبر (1/ 113) ، شذرات الذهب (1/ 110) ، التاريخ الكبير (7/ 396) ، الثقات (5/ 429) ، الجرح والتعديل (8/ 312) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 88) ، الكاشف (2/ 269) .

رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات ، وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف ونحاذر لم نقــل : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فـاطر : 37] نقول : قد عملنا ، فلم يكن ينفعنا ذلك [22] .

[الجد والحذر]

[5] ــ حدثنا عبد الله ، حـدثني محمـد بـن عبـد المجيـد [23] قـال : سمعت سفيان [24] قال : قال رجل [25] لمحمد بن المنكدر [26] ولرجل آخر من

---

[22] صفة الصفوة (3/ 223) ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص 232) ، تاريخ دمشق (58/ 299) ، اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص 95) رقم (159) .

[23] محمد بن عبد المجيد التميمي ، أبو جعفر البغدادي ، المفلوج ، من الضعفاء ، انظر : الجرح والتعديل (8/ 16) ، تاريخ بغداد (2/ 392) ، الميزان (3/ 630) ، اللسان (5/ 264) .

[24] سفيان بن عيينة ، ابن أبي ميمون الهلالي ، أبو محمد ، ثقة حافظ ، حجة ، إمام فقيه ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 198هـ ، انظر : تاريخ بغداد (9/ 174) ، تذكرة الحفاظ (1/ 262) ، الحلية (7/ 270) ، شذرات الذهب (1/ 354) ، تهذيب الكمال (11/ 177) ، تهذيب التهذيب (4/ 104) ، التقريب (1/ 245) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 149) ، طبقات ابن سعد (5/ 497) ، تاريخ بغداد (9/ 174) ، الثقات (6/ 403) ، لسان الميزان (7/ 233) ، الأعلام (3/ 105) .

[25] سنذكر لاحقا من طرق أخرى عن ابن أبي الدنيا أن هذا الرجل هو: زياد بن أبي زياد ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المدني ، قال ابن حجر : ثقة عابد ، وقال الذهبـي : صادق قانت متأله ، توفي سنة 135 هـ .. انظر : التاريخ الكبير (3/ 354) ، الثقات (4/ 254) ، الجرح والتعديل (3/ 545) ، طبقات ابن سعد (5/ 305) ، تهذيب الكمال (9/ 465) ، تهذيب =

قريش [27] : الجد الجد ، والحذر الحذر ، فإن يكن الأمر على ما ترجون كان مـا قدمتم فضلا ، وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلوموا أنفسكم [28] .

التهذيب (3/ 317) ، تقريب (1/ 219) ، الكاشف (1/ 410) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 75)
.

[26] محمد بن المنكدر ، التيمي ، المدني ، ثقة فاضل ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 130 هـ ، انظر : تهذيب الكمال (26/ 503) ، تهذيب التهذيب (9/ 417) ، التقريب (1/ 508) ، التاريخ الكبير (1/ 219) ، تذكرة الحفاظ (1/ 127) ، الكاشف (2/ 224) ، الثقات (5/ 350) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 65).

[27] سنذكر أيضا لاحقا من طرق أخرى عن ابن أبي الدنيا أن هذا الرجل القرشي هو: صفوان بن سليم ، وهو أبو عبد الله الزهراني ، ثقة ، مفتِ عابد ، حديثه في الكتب الستة ، مات سنة 132هـ ، انظر : الحلية (3/ 158) ، تهذيب الكمال (13/ 184) ، تهذيب التهذيب (4/ 373) ، التقريب (1/ 276) ، التاريخ الكبير (4/ 307) ، الجرح والتعديل (4/ 423) ، الكاشف (1/ 503) ، الثقات (6/ 468) ، تذكرة الحفاظ (1/ 134) .

[28] أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص 95) رقم (160) ، وفي جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص 232) قال : وكان زياد مولى ابن عياش يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم : الجد الجد والحذر الحذر فإن يكن الأمر على ما نرجو كان ما عملتما فضلا وإلا لم تلوما أنفسكما .

* وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (19/ 240) عن أبي بكر بن أبي الدنيا حدثني محمد بن عبد المجيد التميمي قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : قال زياد مولى ابن عياش لمحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم : الجد الجد ، والحذر الحذر ؛ فإن يكن الأمر على ما نرجوه كان ما عملتما فضلا ، وإلا لم تلوما أنفسكما .

[الوَجَل في وصايا لقمان]

[6] ــ حدثنا عبد الله قال : وأخبرني عبد المنعم[29]، عـن أبيـه[30]، عن وهب بن منبه[31] قال : قال لقمان لابنه : يا بني ارج الله رجـاء لا يجرئـك على معصيته ، وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته[32].

---

[29] عبد المنعم بن إدريس اليماني ، مشهور ، قصَّاص ، ليس يُعتمد عليه ، تركه غير واحد ، واتهمه أحمد بن حنبل بالكذب ، انظر : الميزان (2/ 668) ، لسان الميزان (4/ 73) ، الجرح والتعديل (6/ 67) ، الكامل (5/ 337) ، الكشف الحثيث (ص 1739 ، ضعفاء العقيلي (1084) ، تاريخ بغداد (11/ 131) ، المجروحين (2/ 157) .

[30] إدريس بن سنان اليماني ، أبو إلياس الصنعاني (ابن بنت وهب بن منبه ، وهو والد عبد المنعم بن إدريس) ، ضعفه ابن عدي ، وقال الدارقطني : متروك ، انظر : الميزان (1/ 169) ، الجرح والتعديل (2/ 264) ، الكامل (1/ 366) ، لسان الميزان (7/ 173) ، تهذيب الكمال (2/ 298) ، تهذيب التهذيب (1/ 170) ، تقريب (1/ 97) ، الثقات (6/ 77) .

[31] وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله الأبناوي ، ثقة ، صدوق ، صاحب كتب ، إخباري علَّامة قاص ، حديثه في الكتب الستة ، انظر : الحلية (4/ 23) ، تذكرة الحفاظ (1/ 100) ، تهذيب الكمال (31/ 140) ، تهذيب التهذيب (11/ 147) ، تقريب (1/ 585) ، شذرات الذهب (1/ 150) ، طبقات ابن سعد (5/ 543) ، العبر (1/ 143) ، مشاهير علماء الأمصار (1/ 122) ، لسان الميزان (7/ 428) ، الكاشف (2/ 358) ، الجرح والتعديل (9/ 24) .

[32] شعب الإيمان للبيهقي (1045) ، الدر المنثور للسيوطي (6/ 520) ، تفسير روح المعاني للألوسي (21/ 83) .

=

[حَدِيثُ أَنْطُونِسَ السَّائِحِ وَمَوَاعِظُهُ وَأَمْثَالُهُ]

[مَوْضُوعُ كِتَابِ أَنْطُونْيُوسَ السَّائِحِ]

* قال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثم إنا وجدنا فيما وضع الأولون من حكمهم وضربوا من أمثالهم كتابا فيه حكم وأمثال تحدو ذا اللب على رفض العاجلة وتحثه على الأخذ بالوثيقة في العمل للآجلة ، وهو الكتاب الذي ينسب إلى أنطونس السائح فقال فيما يذكرون :

[وَصِيَّةُ مَلِكٍ]

كان ملك بعد زمان المسيح عليه السلام يقال له أنطونس عاش ثلاثمائة سنة وعشرين سنة ، فلما حضرته الوفاة بعث إلى ثلاثة نفر من عظماء أهل ملته وأفاضلهم فقال لهم : فقد نزل بي ما ترون ، وأنتم رءوس أهل مملكتكم وأفاضلهم ، ولا أعرف أحدا أولى بتدبير رعيتكم منكم ، وقد كتبت

---

* وأخرج عبد الله بن المبارك في الزهد (رقم 912) ، وأحمد في الزهد (ص 107) ، وهناد بن السري في الزهد أيضا (رقم 538) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص 190) عن عون بن عبد الله أن لقمان قال لابنه : يا بني ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته . قال : وكيف أستطيع ذلك يا أبه وإنما لي قلب واحد ؟! ، قال : يا بني إن المؤمن كذي قلبين ؛ قلب يرجو به ؛ وقلب يخاف به .

لكم عهدا جعلته إلى ستة نفر منكم من أخياركم ليختاروا رجلا منهم لتدبير ملككم ، والذب عن رعيتكم ، فسلموا ذلك لمن اجتمع عليه ملؤكم ، وإياكم والاختلاف ، فتهلكون أنفسكم ورعيتكم .

قالوا : بل الله يمن علينا بطول مدتك ، ويمنع رعيتك فقد سياستك.

قال : دعوا هذه المقالة ، وأقبلوا على ما وصفت لكم من هذا العهد الذي فيه قوام أمركم ، وصلاح دينكم ، فإن الموت لا بُدَّ منه ، فلم تمر بهم ليلة حتى هلك .

[اخْتِلافٌ عَلَى المُلْكِ]

فدب أولئك الثلاثة نفر إلى الستة الذين جعل إليهم اختيار الملك ، فصار كل رجلين من الستة يدعوان إلى رجل من الثلاثة ، فلما رأى ذلك حكماؤهم وأهل الرأي منهم قالوا : يا معشر الستة الذين جعل إليهم الاختيار ، قد افترقت كلمتكم ، واختلف رأيكم ، وبحضرتكم اليوم رجل أفضل أهل زمانكم ممن لا يتهم في حكمه ، وممن يرجى اليمن والبركة في اختياره ، فمن أشار إليه منكم سلمتم هذا الأمر له .

[مُشَاوَرَةُ أَنْطُونْيُوسَ السَّائِحِ]

وكان في جبل بحضرتهم رجل سائح يقال له أنطونس في غار معروف مكانه ، قد تخلى من الدنيا وأهلها ، فاجتمعت كلمتهم بالرضا بمن أشار إليه السائح من الثلاثة نفر ، فوكلوا بالمملكة رجلا من الستة ، وانطلق الثلاثة نفر إلى ذلك السائح ، فاقتصوا عليه قصتهم ، وأعلموه رضاهم بمن أشار إليه منهم ، فقال لهم السائح : ما أراني انتفعت باعتزالي عن الناس ، وإني وإياكم كمثل رجل كان في منزل غشيه الذباب فيه ، فتحول منه إلى منزل يرجو فيه السلامة فغشيه فيه الأسد ، فقال : لقد كان السبع الذي تنحيت عنه أيسر علي من السبع الذي غشيني في منزلي ، وما هذا لي بمنزل ، قالوا : هذا أمر دعانا إليه أفاضل أهل مملكتك رجاء البركة ، والرشد ، واليُمن في رأيك ، وما عليك إلا أن تشير إلى أفضلنا في نفسك فتوليه هذا الأمر .

قال : وما علمي بأفضلكم ؟ وأنتم جميعا تطلبون أمرا واحدا أنتم فيه سواء ، فطمع بعضهم إن هو أظهر الكراهية للملك أن يشير إليه ، فقال : أما أنا فغير مشاح صاحبي هذين ، وإن السلامة لدي لفي اعتزال هذا الأمر . قال السائح : ما أظن صاحبيك يكرهان اعتزالك عنها فأشير إلى أحدهما وأتركك ، قال : بل تختار لأمتك من بدا لك . قال له السائح : ما أراك إلا قد نزعت عن قولك ، وصرتم الآن عندي بمنزلة واحدة ، غير أني سأعظكم ، وأضرب لكم أمثال الدنيا ، وأمثالكم فيها ، وأنتم أعلم ، والخيار لأنفسكم .

[اغْتِنَامُ الْعُمُرِ وَالتَّوَثُّقُ بِالْعَمَلِ]

فأخبروني : هل عرفتم مداكم من الملك ، وغايتكم من العمر ؟.

قالوا : لا ندري ، لعل ذلك لا يكون إلا طرفة عين .

قال : فلم تخاطرون بهذه الغرة ؟ .

قالوا : رجاء طول المدة .

قال : كم أتت عليكم من سنة ؟ .

قالوا : أصغرنا ابن خمس وثلاثين سنة ، وأكبرنا ابن أربعين سنة .

قال : فاجعلوا أطول ما ترجون من العمر مثل سنكم التي عمرتم .

قالوا : لسنا نطمع في أكثر من ذلك ، ولا خير في العمر بعد ذلك ، قال : أفلا تبتغون فيما بقي من أعماركم ما ترجون من ملك لا يبلى ، ونعيم لا يتغير ، ولذة لا تنقطع ، وحياة لا يكدرها الموت ، ولا تنغصها الأحزان ، ولا الهموم ، ولا الأسقام ؟ ، قالوا : إنا لنرجو أن نصيب ذلك بمغفرة الله ورحمته ، قال : قد كان من أصابه العذاب من القرون الأولى يرجون من الله ما ترجون ، ويؤملون ما تؤملون ، ويضيعون العمل ، حتى نزلت بهم العقوبة ما قد بلغكم ، فليس ينبغي لمن صدَّق بما أصاب القرون الأولى أن يطمع في رجاء بغير عمل ، ويوشك من سلك المفازة بغير ماء أن يهلك عطشا ، أراكم تتكلون على الرجاء في هلاك أبدانكم ، ولا تتكلون عليه في صلاح معايشكم

، تؤثثون لدار قد عرفتم مزايلتها ، وتتركون التأثيث لـدار مقـامكم ، ثـم قـد رأيتم مدائنكم التي ابتنيتموها ، واعتددتم فيها الأثاث والرباع ، لو قيل لكـم : إنه سينزل عليكم ملك بجيوشه وجنوده فيعم أهلها بالقتل ، وبنيانها بالهدم ، هل كنتم تطيبون نفسا بالمقام فيها ، والبنيان بها ؟ ، قالوا : لا ، قال : فـوالله إن أمر هؤلاء الآدميين لصائر إلى هذا ، ولكني أدلكم على مدينـة آمنـة سـليمة لا يؤذيكم فيها جبار ، ولا يغشمكم فيها وال ، ولا تعدمكم فيها الثمار ، قـالوا : قد عرفنا الذي أردت ، فكيف وقد اشرأبت أنفسنا بحب الدنيا ؟ ، قال : مـع الأسفار البعيدة تكون الأرباح الكثـيرة ، فيـا عجبـا للجاهـل والعـالم كيـف استويا في هلاك أنفسـهما ! ، ألا إن الـذي يسرق ولا يعـرف عقوبـة السـارق أعذر من السارق العارف بعقوبته ، ويا عجبا للحازم كيف لا يبذل ماله دون نفسه فينجو بها ! ، فإني أرى هذا العالم يبذلون أنفسهم دون أمـوالهم ، كـأنهم لا يصدقون بما يأتيهم به أنبياؤهم ، قالوا : ما سمعنا أحدا من أهل هـذه الملـة يكذب بشيء مما جاءت به الأنبياء ، قال : من ذلك اشتد عجبي من اجتماعهم على التصديق ومخالفتهم في الفعل ، كأنهم يرجون الثواب بغير أعمال .

[التَّفَكُّرُ فِي هَلاكِ الْعَالَمِ]

قالوا : أخبرنا كيف أول معرفتك للأمور من قبل الفكر ؟!

قال : تفكرت في هلاك العالم فإذا ذاك من قبل أربعة أشياء جعلت فيهن اللذات ، وهي أبواب مركبة في الجسد ، منها ثلاثة في الرأس ، وواحد في البطن ، فأما أبواب الرأس فالعينان ، والمنخران ، والحنك ، وأما باب البطن فالفرج ، فالتمست خفة المئونة علي في هذه الأبواب التي من قبلها دخل البلاء على العالم فوجدت أيسرها مئونة باب المنخرين ، لذته يسيرة ، موجودة في الزهر والنور والريحان ، ثم التمست الخفة لمئونة باب الحنك فإذا هو طريق للجسد ، وغذاء لا قوام له إلا بها يلقى فيه ، فإذا تلك المئونة إذا صارت في الوعاء استوت فتناولت منها ما تيسر من المطعم والمشرب ، ورفضت ما عسر فصرت فيما قطعت عن نفسي من مئونة الوعاء ولذة الحنك بمنزلة رجل كان يتخذ الرماد من الخلنج والصندل والعيدان المرتفعة ، فلما ثقل عليه مئونة ذلك اتخذ الرماد من الزبل والحطب الرخيص ، فرحى ذلك عليه ، ونظرت في مئونة الفرج فإذا هو والعينان موصولان بالقلب ، وإذا باب العين يسقي الشهوة ، وهما معينان على هلاك الجسد ، ثم تنقطع تلك اللذة على طول العمر ، فهممت بإلقائهما عني وقلت : هلاكهما وإطراحهما أيسر علي من هلاك جسدي ، وأشفقت أن يضر ذلك بجميع الجسد ، فرويت وفكرت ، فلم أجد لهما شيئا أفضل من العزلة عن الناس ، وكان ما بغض إلي منزلي الذي كنت فيه فكري في مقامي مع من لا يعقل إلا أمر دنياه ،

فاستوحشت من المقام بين ظهرانيهم ، فتنحيت عنهم إلى هذا المنزل ، فقطعت عني أبواب الخطيئة ، وحسمت نفسي لذات أربعا ، وقطعتهن بخصال أربع .

[قَطْعُ اللَّذَّاتِ]

قالوا : وما اللذات ؟ وبماذا قطعتهن ؟ ! .

قال : اللذات : المال ، والبنون ، والأزواج ، والسلطان ، فقطعتهن بالهموم ، والأحزان ، والخوف ، وبذكر الموت المنغص لِلَّذَّات ، وقطعت ذلك أجمع بالعزلة وترك الاهتمام بأمور الدنيا ، فلا أحزن على أحد هلك فيها ، ولا أخاف إلا الله عز وجل وحده ، فما خير في لذة وهذا الموت يقفوها ، وأي دار شر من دار الفجائع جوارا ؟ كونوا كرجل يسافر يلتمس الفضل ، فغشى مدينته التي خرج منها العدو ، فأصابوا أهلها بالبلاء في أموالهم وأنفسهم ، فسلم ذلك الرجل في مخرجه ، وحمد الله على ما صرف عنه ، فأنا معتزل في منزلي هذا عن أهل الخطايا ، أتذكر الموت الذي يكرهه الناس ، وأجد لذكره حلاوة للقاء ربي ، ولقد عجبت لأهل الدنيا كيف ينتفعون بلذاتها مع همومها وأحزانها ، وما تجرعهم من مرارتها بعد حلاوتها ! .

[قِصَّةُ صَاحِبِ الْحَيَّةِ]

واشتد عجبي من أهل العقول ما يمنعهم من النظر في سلامة أبدانهم ! ، فإنهم يريدون أن يهلكوا أنفسهم كما هلك صاحب الحية .

قالوا : أخبرنا كيف كان مثل صاحب الحية ؟ ! .

قال : زعموا أنه كان في دار رجل من الناس حية ساكنة في جحر قد عرفوا مكانها ، وكانت تلك الحية تبيض كل يوم بيضة من ذهب وزنها مثقال ، فصاحب المنزل مغتبط مسرور بمكان تلك الحية ، يأخذ كل يوم من جحرها بيضة من ذهب ، وقد تقدم إلى أهله أن يكتموا أمرها ، فكانت كذلك لأشهُر ، ثم إن الحية خرجت من جحرها فأتت عنزا لأهل الدار حلوبا ينتفعون بها فنهشتها فهلكت العنز . فجزع لذلك الرجل وأهله ، وقالوا : الذي نصيب من الحية أكثر من ثمن العنز ، والله يخلف ذلك منها .

فلما أن كان عند رأس الحول عدت على حمار له كان يركبه فنهشته فقتلته ، فجزع لذلك الرجل ، وقال : أرى هذه الحية لا تزال تدخل علينا آفة ، وسنصبر لهذه الآفات ما لم تعد البهائم . ثم مر بهم عامان لا تؤذيهم فهم مسرورون بجوارها ، مغتبطون بمكانها ، إذ عدت على عبد كان للرجل لم يكن له خادم غيره فنهشته وهو نائم ، فاستغاث العبد بمولاه فلم يغن عنه شيئا حتى تفسخ لحمه ، فجزع الرجل وقال : أرى سم هذه الحية قاتلا لمن لسعته ، ما آمن أن تلسع بعض أهلي . فمكث مهموما ، حزينا خائفا أياما ، ثم قال : إنما كان سم هذه الحية في مالي ، وأنا أصيب منها أفضل مما رزئت به ، فتعزى بذلك على خوف ووجل من شر جوارها ، ثم لم يلبث إلا أياما حتى

نهشت ابن الرجل ، فارتاع والده لذلك ، ودعا بالحواء والترياق وغيره فلم يغن عنه شيئا ، وهلك الغلام ، فاشتد جزع والديه عليه ، ودخل عليهما ما أنساهما كل لذة أصاباها من الحية ، فقالا : لا خير لنا في جوار هذه الحية ، وإن الرأي لفي قتلها والاعتزال عنها ، فلما سمعت الحية ذلك تغيبت عنهم أياما لا يرونها ولا يصيبون من بيضها شيئا ، فلما طال ذلك عليهما تاقت أنفسهما إلى ما كانا يصيبان منها ، وأقبلا على جحرها بالبخور ، وجعلا يقولان : ارجعي إلى ما كنت عليه ولا تضرينا ولا نضرك ، فلما سمعت الحية ذلك من مقالتهما رجعت ، فتجدد لهما سرور على غصتهما بولدهما ، وكانت كذلك عامين لا ينكرون منها شيئا ، ثم دبت الحية إلى امرأة الرجل وهي نائمة معه فنهشتها ، فصاحت المرأة فثار زوجها يعالجها بالترياق وغيره من العلاج فلم يغن شيئا ، وهلكت المرأة ، فبقي الرجل فريدا ، وحيدا ، كئيبا ، مستوحشا ، وأظهر أمر الحية لإخوانه وأهل وده ، فأشاروا عليه بقتلها ، وقالوا : لقد فرطت في أمرها حين تبين لك غدرها وسوء جوارها ، ولقد كنت في ذلك مخاطرا بنفسك ، فولى الرجل وقد أزمع على قتلها ، لا يرى غير ذلك ، فبينما هو يرصدها إذ طلع في جحرها فوجد فيها درة صافية وزنها مثقال ، فلزمه الطمع ، وأتاه الشيطان فغره ، حتى عاد له سرور هو أشد من سروره الأول ، فقال : لقد غير الدهر طبيعة هذه الحية ، ولا أحسب سمها إلا

قد تغير كما تغير بيضها ، فجعل الرجل يتعاهد جحرها بالكنس ، والبخور ، ورش الماء ، والريحان ، وكرمت عليه الحية ، والتذ الرجل بذلك الدر التذاذا شديدا ، وأعجبه ، ونسي ما كان من أمر الحية فيما مضى ، وعمد إلى ما كان عنده من الذهب فعمل به حقا ، فجعل ذلك الدر فيه ، وجعل موضع ذلك الحق تحت رأسه ، فبينما هو نائم إذ دبت الحية فنهشته ، فجعل يغوث بصوت عال ، فأقبل إليه جيرانه ، وأقاربه ، وأهل وده ، فأقبلوا عليه باللوم له فيما فرط من قتل الحية ، فأخرج إليهم الحق فأراهم ما فيه ، واعتذر مما عجزوا فيه رأيه ، فقالوا : ما أقل غناء هذا عنك اليوم ، إذ صار لغيرك ، وهلك الرجل ، فقال إخوانه الذين أشاروا عليه بقتل الحية : أبعده الله ، هو قتل نفسه ، وقد أشرنا عليه بقتل الحية . ولقد عجبت لأهل العقول يعرفون الأمر الذي ضربت هذه الأمثال له ولا ينتفعون بالمعرفة ، كأنهم يرجون الثواب على المعرفة بالقول والمخالفة بالعمل .

[قِصَّةُ صَاحِبِ الْكَرْمِ]

ويل لأصحاب المعرفة الذين لو قصرت عنهم عقولهم لكان أعذر لهم ، ويل لهم ، ويل لهم ، لو قد أصابهم ما أصاب صاحب الكرم .

قالوا : وكيف كان مثل صاحب الكرم ؟ ! .

قال أنطونس : زعموا أنه كان رجل له كرم واسع ، كثير العنب ، متصل الشجر ، مثمر ، فاستأجر لكسح الكرم وحفظه ثلاثة نفر ، ووكل كل رجل منهم بناحية معلومة ، وأمره بحفظ ناحيته وكسحها ، وقال لهم : كلوا من العنب ما شئتم ، وكفوا عن هذه الثمار فلا تقربوها فتحل بكم عقوبتي ، واعلموا أني متفقد عملكم وناظر فيه ، فإياكم والتعدي لما أمرتكم به ، فتوجبون على أنفسكم العقوبة . فأقبل أحدهم على حفظ ما أمر به من الكرم وكسحه ونزع العشب منه ، وقنع بأكل العنب ، وكف عن أكل الفاكهة التي نهي عنها . وأقبل الثاني على مثل صنيع صاحبه الأول حينا ، ثم تاقت نفسه إلى أكل الثمار فتناولها . وأقبل الثالث على أكل الثمار ، وترك العمل ، فضاعت ناحيته وفسدت . وقدم صاحب الكرم لينظر إلى كرمه ، ويتفقد ما عمل أجراؤه ، فبدأ بالنظر في عمل الأول فرأى عملا حسنا ، وتوقيرا ، وكفا عما نهاه عنه ، فحمده وأعطاه فوق أجره ، فانقلب راضيا ، مغتبطا ، مسرورا . ونظر في عمل الثاني فرأى عملا حسنا ، ورأى في الثمار فسادا قبيحا ، فقال : ما هذا الفساد الذي أرى ؟ قال : أكلتُ من هذه الثمار ، قال : أولم أنهك عن ذلك ؟ ؛ قال : بلى ، ولكن رجوت عفوك إليَّ وإحسانك . قال : ذاك لو لم أكن تقدمت إليك في الكف عن أكل الثمار ، ولكني لست أعتدي عليك في العقوبة إلا بما أذنبت . ونظر في عمل الثالث فإذا هو قد أضاع الكرم ، وأكل

الثمار ، فقال له : ويحك ما هذا ؟ قال : هو ما ترى قال : أرى عملا قبيحا ، وفسادا كثيرا ، وسأبلغ من عقوبتك ما أنت أهله . فلما عرض أمر هؤلاء الأجراء على الناس قالوا : الأول نعم الأجير كان ، وقد أحسن إليه صاحب الكرم وأعطاه أفضل من أجره . وقالوا للثاني : عمل الأحمق ولم يتم عمله ، لو صبر عما نهي عنه من أكل الثمار لأصاب من صاحب الكرم مثل ما أصاب صاحبه . وقالوا للثالث : بئس الأجير ، ضيّع ما أمر به ، ثم أكل ما نهي عنه ، فهو أهل لما لقي من شر . فهكذا أعمالكم يا معشر الحكماء في الذي يصير إلى ما صار إليه هؤلاء الأجراء في اليوم الذي تجزى فيه كل نفس بما عملت .

[قِصَّةُ صَاحِبِ السَّفِينَةِ]

قال أنطونس : ولقد عجبت لأهل الأمل وطمعهم في طول العمر ، فوجدت أعدى الناس للناس الأولاد لآبائهم ، عمل آباؤهم في الاستكثار لهم ، وأتعبوا أبدانهم في إصلاح معايش غيرهم بهلاك أنفسهم ، وشاركهم في اللذة غيرهم ، فأفردوا بالسؤال عما كدحوا كصاحب السفينة .

قالوا : وكيف كان مثل صاحب السفينة ؟! .

قال : زعموا أنه كان رجل نجار كان يعمل بيده فيصيب في كل يوم درهما ، ينفق نصفه على أب له شيخ كبير وامرأة له وابن وبنت ، ويدخر نصفه ، فعمل زمانا عائشا بخير ، فنظر يوما فيما عمل وما كسب فإذا هو قد

استفضل مائة دينار ، فقال : والله إني لفي باطل من عملي هـذا ، ولـو عملـت سفينة واستقبلت تجارة البحر رجوت أن أتمول ، فهو خير من عمل القـدوم . فلما عرض ذلك من رأيه على أبيه قال : يـا بنـي ، لا تفعـل ، فـإن رجـلا مـن المنجمين أخبرني أيام ولدت أنك تموت غرقا . قـال : فـما أخـبرك أني أصـيب مالا ؟ قال : بلى ، ولذلك نهيتك عن التجارة والتمست لك عملا تعـيش فيـه يوما بيوم . قال : أما إذا كان في قوله أني أصيب مالا فوالله ما جل إصابة المـال إلا في التجارة في البحر . قال : يا بني ، لا تفعل ، فإني أخاف عليـك الهـلاك . قال : أليس يكون لي مال ، إن عشت عشت بخير ، وإن مـت تركـت أولادي بخير ؟ قال : يا بني ، لا يكونن ولدك آثر عندك من نفسـك . قـال : لا والله ، ما أنا بنازع عن رأيي . فعمل سفينة وأجاد عملهـا ، ثـم حملهـا مـن صـنوف التجارات ، ثم ركب فيها ، فغاب عن أهله سنة ، ثـم قـدم عنـد تمـام الحـول بقيمة مائة قنطار ذهب ، فحمد الله والده وأثنى عليه ، وكره له ما أصاب مـن المال ، فقال له : يا بني ، إني كنـت نـذرت لله عـز وجـل إن ردك الله سـالما أن أحرق سفينتك . قال : يا أبه ، لقد أردت هلاكي وخراب بيتي . قال : يا بنـي ، إنما أردت بذلك حياتك ، وقوام بيتك ، وأنا أعلم بالأمور منك ، وأراك قـد وسع الله عليك ، فأقبل على العمل برضوان الله تعالى والشكر لـه ، فإنـك قـد أصبت غنى الدهر ، وأمنت بإذن الله من الفقر ، وإنما أردت بـهـا جعلـت عـلي

السلامة لبدنك ، فلا تفجعني يا بني بنفسك . قال : أليس الحق أحب إليك من الباطل ؟ قال : بلى . قال : فما أريد أن أقيم إلا أياما حتى أرجع فأجول جولة أصيب فيها أضعاف ما قد ترى . فخرج فغاب سنة وبعض أخرى ثم قدم بأضعاف ما قدم به أول مرة من الأموال ، ثم قال لأبيه : كيف ترى ؟ لو أني أطعتك لم أصب من هذا المال شيئا . قال أبوه : يا بني ، أراك تعمل لغيرك ، ولوددت أن هذا صرف عنك في سلامة بدنك ، وسيجرعك ما ترى غصة ، فتتمنى لو كان بينك وبين هذه اللذة جبال المشرق . قال : يا أبه ، إنما دعاك إلى هذا قول المنجم ، وأنا أرجو أن يكون قد أصاب في الغنى وأخطأ في الغرق . ثم أمر بصنعة سفينة أخرى فلم يقم إلا أربعين ليلة حتى أجمع أن يركب البحر . فقال له أبوه : أما إنه ليس يمنعني من الإلحاح عليك في هذه المرة إلا ما قد يكون من معصيتك في المرة الأولى ، فقد رأيت أشياء صدقت عندي قول المنجم ، وانسكبت عيناه بالدموع ، فرق لذلك ابنه . وقال : يا أبه ، جعلني الله فداك ، اصبر لي مرتك هذه ، فوالله لئن ردني الله سالما لا ركبت بحرا ما عشت . قال الشيخ : يا بني ، اليوم والله أيقنت بفقدك ، والله لا ترجع من هذا الوجه حتى ترجع الشمس من مغربها . ثم تلهف عليه وبكى إليه ، وناشده الله ، فلم يسمع مقالة أبيه ، ولم يمنعه أن خرج في سفينتين قد شحنهما تجارة ، فلما توسط البحر أصابه موج شديد ، فأصابت إحدى سفينتيه

الأخرى فانصدعتا فغرقتا ، فذكر التاجر وهو يسبح مقالـة المـنجم ، وتلهـف على عصيانه والده ، وهلك هو وجميع أصـحابه بعـد سـباحة يـوم ، فنبـذهم البحر إلى الساحل من منزل أبيه على مسيرة يومين ، فلـم تمـر بهـم أيـام حتـى وصل إلى الشيخ الخبر ، فصبر واحتسب ، ونحل وكمد حتـى هلـك أيضـا ، وقسم الميراث على امرأة التاجر ، وابنه ، وابنته ، فتزوج ابنه ، وتزوجت امرأته وابنته ، فصار ما جمع إلى زوج امرأته ، وزوج ابنته ، وامرأة ابنه ، وكل ما يجمع الأشقياء إلى ذلك يصير .

[قِصَّةُ صَاحِبِ الْحُوتِ]

ولقد عجبت للمدخر عن نفسـه ، والمـؤثر لغـيره ، فويحـك ، قابـل همومك بخفة المال ، وتبلغ بالكفاف تبلغ المنزل ، وادخر الفضل لنفسك ، ولا تؤثر غيرك فتلق ما لقي صاحب الحوت .

قالوا : وما الذي لقي صاحب الحوت ؟ !.

قال أنطونس : زعموا أن صياد سمك أصاب في صيده حوتا عظـيما سمينا ، فقال : ليس مثل هذا يباع ، وما أحد أحق بأكله منـي فانقلـب بـه إلى منزله ، ثم بدا له أن يهديه إلى جار له من الحكـماء ، فلـما أتـاه بـه دعـا للصـياد بعوض منه ، فأبى الصياد أن يقبله ، فقال له الحكيم : فما دعاك إلى هذا ، لعـل لك حاجة تحب قضاءها ؟ فقال : لا ، ولكن أحببت أن أوثرك به . قـال : قـد

قبلته ، ثم أمر خادما لـه فقـال : اذهـب بهـذا الحـوت إلى جارنـا هـذا المقعـد المسكين ، فلما رأى ذلك الصياد ضرب جبهته ، وقال : يا ويله مما حـرم نفسـه من أكل هذا الحوت ، ثم صار إلى أعدى الناس له . قال له الحكـيم : إن هـذه الأثرة التي آثرت بها المقعد إنما هي ذخيرة لي وضعتها عنده ليوم فاقتي . قال : ومتى ذاك اليوم ؟ قال : يوم يحتاج الناس إلى ذخـائرهـم في الآخـرة . فتعجـب الصياد لذلك وندم .

[قِصَّةُ هَلاكِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ]

ولقد عجبت لهذا الشغل الذي غر أهل العقل والجهل حتى هلكـوا جميعا بالرجاء والطمع ، كما هلك اليهودي والنصراني .

قالوا : أخبرنا كيف كان ذلك ؟! .

قال أنطونس : اصطحب رجلان يهودي ونصراني إلى أرض يبتاعان الجوهر ، فسارا في عمران من الأرض واتصال من المياه ، حتى انتهيا إلى بئـر ، ومن وراء تلك البئر مفازة مسيرتها أربعة أيام ، ومع كل واحـد مـنهما قربـة ، فملأ اليهودي قربته ، وأراد النصراني أن يملأ قربته فقال له اليهودي : تكفينـا قربتنا هذه ، ولا تثقل دوابنا ، فقال له النصراني : أنا أعلم بالطريق . فقـال لـه اليهودي : تريد إلا أن تشرب الماء كلما عطشت . قـال : لا ، فـترك الـنصراني قربته فارغة وسار مع صاحبه وهو يعلم أنه سـيحتاج إلى المـاء ، فلـما توسـطا

المفازة أصابهما سموم شديدة أنفد ما كان في القربة ، فقعدا في الطريق يتلاومان ويقول النصراني لليهودي : ما أهلكنا إلا رأيك القبيح ، وما صنعت ذلك إلا لعداوة ما بيننا في أمر المسيح قال اليهودي : أتراني كنت أريد أن أقتلك وأقتل نفسي ؟ قال النصراني : أبعدك الله كما لم ترحمني . قال اليهودي : ويحك ، إنما نهيتك عن حمل الماء لضعف حمارك ، وكرهت لك المشي . قال النصراني : لعمري للمشي كان أهون علي من الموت ، وما فعلت هذا إلا لعداوتكم القديمة ، وإنما يحزنني أن نموت فندفن جميعا في قبر واحد فيمر بنا من القسيسين مَن يصلي علينا . قال اليهودي : ويحك ، ولم يشق عليك أن ندفن جميعا ويصلي من يصلي علينا ؟ قال النصراني : لأنك قتلت نفسك وصاحبك ، فليس ينبغي أن يصلى عليك ، فبينما هي تخرج أنفسهما إذ مر بهما رجل ماش يسوق حمارا عليه قربتان من ماء ، فلما رأياه ابتدرا فقالا : احتسب علينا بشربة من ماء عافاك الله قال : هذا طريق ليس فيه حسبة . قالا له : أخبرنا ما دينك ؟ قال : ديني دينكما . قالا : فإن أحدنا يهودي والآخر نصراني . قال : اليهودي والنصراني والمسلم إذا لم يعمل بما في كتابه ، واتكل على الغرة في الرجاء والطمع ، لقي ما لقيتما ، وولى عنهما ولم يسقهما . فقالا : هذا رجل حازم . فقال : ما أقل ما يغني عنكما حزمي ، وعمن فرط في الأخذ بالوثيقة ، واتكل على الرجاء والطمع ، وقد ينبغي للعاقل أن يأخذ بالحزم في أمر آخرته

، كما يأخذ به في أمر دنياه ، ولا يتكل على الرجاء والطمع في المغفرة والرحمة بغير اتباع لما أمر به ، والترك لما نهي عنه .

[قِصَّةُ صَاحِبِ الدَّيْرِ]

ولقد عجبت لأهل الأعمال السيئة واستتارهم من العباد بقبيح أعمالهم ، ولا يستترون ممن يلي عقوبتهم ، ولا يراقبونه وهو الذي يثيب على الحسن ، ويجزي بالسيئ ، كيف أمنوا أن يصيبهم ما أصاب صاحب الدير .

قالوا : وما الذي أصاب صاحب الدير ؟ .

قال أنطونس : زعموا أن رجلا كان يبيع العسل ، والسمن ، والزيت ، والخمر ، وكان يشتريه طيبا نقيا ، ويبيعه غاليا مغشوشا ، وكان ذا لحية عظيمة جميلة ، وكان أكثر من يراه إنما يقول له : لو كنت أسقفا ، فما صلحت لحيتك إلا للأساقفة ، فلما كثر قولهم ذلك له وقعت في نفسه الرهبانية لرجاء منزلة يصيبها ، فقال لامرأته ذات يوم : إن الناس قد أكثروا في لحيتي ، ولا يعلمون عملي ، ولو أني ترهبت لرجوت أن أصيب مالا ومنزلة ، فجزعت لذلك امرأته جزعا شديدا ، وقالت : لقد أردت أن تؤيمني وتيتم أولادي . قال : ويحك ، لم أرد ذلك لنية في العبادة ، ولكن رجوت أن تكون لي منزلة ، وأنال فضيلة في أهل ملتي . قالت : أخاف أن تداخلك حلاوة العبادة إذا صرت مع الرهبان ، فتلج وتتركني ، فحلف لها وأقبل على

تعلم الإنجيل والمزامير وأشياء من كتب الأنبياء ، وحلق رأسه ، ثم انطلق إلى دير عظيم فيه جماعة من الرهبان فنزله ، فلم يقم فيه إلا قليلا حتى أعجب الرهبان ما رأوا من جماله ونبل لحيته ، فأجمعوا على رئاسته ، وولوه أمرهم ، فلما بلغ همته ، وأمكنته الأمور من أموال الدير وخزانته لاطف عظماء الناس وأشرافهم ، فعظمت منزلته في أعينهم ، وصغرت منزلة الرهبان في عينه فأذلهم ، ونقص أرزاقهم ، وغير مراتبهم ، وعمد إلى أهل العبادة منهم فولاهم غلات الدير وخزانته ، وتفرغ ينعم نفسه ، والتذ بالنساء ، وشرب الخمر ، وأكل الطيب ، ولبس اللين ، فلما رأى الرهبان ذلك غاظهم ، وفيهم رجل سناط كان يحسده على نبل لحيته ، فقال لأصحابه : إن هذا الفاسق يذلكم ، ويستعين بكم على فسقه ، فاتقوا الله في أنفسكم ، قالوا : قد اعتزلنا الدنيا وما فيها ، وتفرغنا للعبادة فابتلينا من هذا الرجل بالشغل ، والهم ، والحزن . قال السناط : هذا ما عمل بكم سوء رأيكم ، وحسن نظركم في طول اللحى ، ومن قلد أمره أهل اللحى والرياء ، وترك أهل العفاف والدين والورع فليصبر لما جنى على نفسه ، فأجمعوا رأيهم على أن يعظوه ، فأتاه السناط في جماعة منهم ، فقال له : إنك قد أسرفت على نفسك ، وقد ظهر لأصحابك ما تظن أنه قد خفي عليهم من أمرك وما أنت عليه ، فاحذر عقوبة الله تعالى ، فإنه ربما عجلها في الدنيا للعبد قبل الآخرة ، فقال لهم

الراهب : أليس إن الخطيئة قد أحاطت ببني آدم حتى نالت الأنبياء ؟ فقد أخطأ داود ، وسليمان بن داود ، ويحيى بن زكريا . قال السناط : أراك عالما بخطايا الأنبياء ، جاهلا بالتوبة التي كانت منهم ، إنما كانت خطيئة داود نظرة واحدة ، فخر لله ساجدا أربعين ليلة ، وإنما سها سليمان عن صلاة واحدة فأخر وقتها للذة في الخيل ، فتاب واستغفر وضرب أعناقها وعرقبها ، وإنما ترك يحيى صلاة واحدة من نوافل الليل ، اتهم بذلك كثرة طعامه ، فما ملأ بطنه من الطعام حتى قبضه الله عز وجل ، وكان ذلك كله فرقا من الله عز وجل ، وخوفا من عقابه ، ورجاء لثوابه ، قال صاحب الدير : أرجو التوبة ، قال السناط : ربما عاجل الموت صاحب الخطيئة عن التوبة . فأقام صاحب الدير على خطيئته حتى أذن الله في هلاكه على يدي رجل من اللصوص ، كان له أصحاب متفرقون في القرى فبعث رأس اللصوص أصحابه يبيتون القرية التي فيها امرأة الراهب صاحب الدير ، فلما بيتوهم وجدوا الراهب مع امرأته في لحاف ، فأتوا به رأسهم ، فقالوا : لو لم يكن راهبا لعذرناه ، ولكنا نقيم فيه حد الله فيمن حرم النساء ثم ركبهن ، فسأل عن عقوبته أهل العلم ، فقيل عقوبته أن يحرق بالنار ، فألقي في تنور مسجور ، وكفى الله الرهبان مؤنته ، وعجله للنار في الدنيا ، لعبادته التي نواها للدنيا .

[قِصَّةُ الأَعْمَى فِي مُصِيبَتِهِ]

ولقد عجبت لأهل المصائب ، كيف لا يستعينون على مصائبهم بالصبر ، ويذكرون ما يؤملون من الثواب ، فإنه سيأتي على صاحب المصيبة يوم يتمنى فيه ما تمنى الأعمى في مصيبته .

قالوا : وما تمنى الأعمى في مصيبته ؟! .

قال أنطونس : زعموا أن تاجرا دفن مائة دينار في موضع ، فبصر بها جار له فأخرجها ، فلما فقدها التاجر جزع جزعا شديدا ، ثم طال به العمر حتى عمي واحتاج حاجة شديدة ، فلما حضرت جاره الوفاة تخوف الحساب ، فأوصى أن ترد المائة دينار إلى الأعمى ، فردت عليه ، وأخبروه بالقصة ، فسر الأعمى سرورا لم يسر بمثله قط ، وقال : الحمد لله الذي ردها علي أحوج ما كنت إليها ، فيا ليت كل مال كان لي يومئذ قبض عني ثم رد علي اليوم ، فينبغي لمن عرف أن له عملا صالحا أن يوقن أنه سيلقاه يوم يحتاج إليه .

[قِصَّةُ صَاحِبِ المُسِيلِ]

ولقد عجبت لنفاذ عقولهم ، كيف لا يعملون بما يعلمون ، كأنهم يريدون أن يهلكوا كما هلك صاحب المسيل .

قالوا : وكيف كان ذلك ؟! .

قال أنطونس : زعموا أن رجلا نزل بطن مسيل ، فقيل له : تحول عن هذا المنزل ، فإنه منزل خطر . فقال : قد عملت ، ولكن يعجبني نزهته

ومرافقه . فقيل له : إنما تطلب الرفق لصلاح نفسك ، فلا تخاطر بها . قال : ما أريد التحول عن منزلي . فغشيه السيل وهو نائم فذهب به ، فقال الناس : أبعده الله . وهم على مثل حاله ، كأنهم يعملون على قول صاحب الدهر الذين قالوا : ننشأ ونبيد ، والهالك منا لا يعود .

[قِصَّةُ أَصْحَابِ أَفْرُولِيَّةَ]

قال أنطونس : فلو أخذنا بالحزم كنا كأصحاب أفرولية .

قيل : وكيف كان ذلك ؟! .

قال بعث ملك أسقولية بعثا إلى أفرولية ، وكان المسير إليها في البحر ستين ليلة ، لا يجدون من الزاد والماء إلا ما حملوه معهم ، وكان مع صاحب أسقولية كاهنان ، فقال أحدهما : أما إن هذا الجيش سيقيمون على أفرولية سبعة أيام يرمونها بالمجانيق ، وتفتح في اليوم الثامن . قال الآخر : لا ، بل يقيمون سبعة وينصرفون في اليوم الثامن . فلما سمع أصحاب البعث قولهما قالوا : ما ندري للبدأة نحمل الزاد أم للبدأة والرجعة ؟ قال فوج منهم : نقبل قول الكاهن الذي قال نفتحها في اليوم الثامن ، ولا نعني أنفسنا بحمل ثقيل الزاد . وقال الفوج الآخر : إنما هي أنفسنا ، لا نخاطر بها ، فحملوا الزاد للبدأة والرجعة ، ثم ساروا حتى انتهوا إلى أفرولية ، وقد أخذوا بالحزم ، وتحرزوا دونهم بحصن دون حصن ، فأقاموا عليها سبعة أيام بالمجانيق

ففتحوا حائطها الظاهر ، فناهضوهم ، فلما دخلوا الثغرة إذا لها قصبة أخرى حصينة ، فلم ينتفعوا بدخول الحائط الأول ، وجاءهم بريد في اليوم الثامن أن ملكهم قد مات ، فانصرفوا راجعين ، فهلك ممن فرط في حمل الزاد سبعون ألفا ، فصاروا مثلا ، وكذلك يهلك من فرط في عمل الآخرة ، وينجو من تزود لها ، وتحرز من بوائقها ، كما تحرز أهل أفرولية ، وكما نجا من تزود من أهل أسقولية للرجعة .

[الْوَصِيَّةُ الأَخِيرَةُ]

قال النفر الستة لأنطونس : ما أحسن قولك ، وأبلغ موعظتك !.

قال : أما إن حلاوة عظتي لا تجاوز آذانكم ، ألم تعلموا أن فيما جاء به موسى في الناموس ، وفيما جاء به داود من الزبور ، والمسيح من الإنجيل ، وفي كتب جميع الأنبياء : إنما تجزون بما كنتم تعملون . والثواب لمن عمل يعطى بقدر عمله . والأجير ينبغي له أن يعرف ما يصير إليه عند رب أجره ، فانظروا في أعمالكم ، واقضوا على أنفسكم يتبين لكم ما لكم وما عليكم ، وانصرفوا عني راشدين . فانصرفوا عنه ، فاقترعوا بينهم ، وملكوا أحدهم ، ورضوا به .



تم بحمد الله

وكتبه

أبو عبد الرحمن المصري

مجدي محمد الشهاوي

magshahawey@Hotmail.com

0127244933

